الآثار الإسلامية في منطقة الدامر (شمال السودان)

د. فائز حسن عثمان أحمد*

مقدمة :-

هذه الدراسة جزء من مشروع جامعة وادي النيل لدراسة وتوثيق وتسجيل الآثار بمنطقة محلية الدامر ، الواقعة في ولاية نهر النيل بشمال السودان ، وقد سميت المنطقة بالدامر على اسم حاضرتها التي تقع على الضفة اليمنى للنيل ، وعلى بعد ٣٠٠كلم شمال الخرطوم . وقد أجريت في الفترة من ٣/٢ – ٢٠٠٩/٣/٢٢م الماضي بتمويل كامل من إدارة جامعة وادي النيل وتحت إشراف الدكتور محمد أحمد عبد المجيد مدير المركز .

لقد تم تسجيل ودراسة عدد من المواقع التي تعود إلى فترات تاريخية مختلفة ، لكن اللافت للنظر في منطقة الدراسة وجود عدد كبير من الآثار التي تعود للفترة الإسلامية ، ولم يسبق تسجيلها أو دراستها ، على الرغم من إجراء عدد من الدراسات في مناطق مجاورة ، و ذلك لسببين الأول أن الأجيال الأولى من الآثاريين الذين درسوا هذه المواقع لم يكونوا متخصصين في الآثار السودانية (Osman.2005:5)، والثاني معظم الدراسات التي أجريت كانت دراسات إنقاذية وليست منتظمة نتيجة لمشاريع التنمية التي تنتظم المنطقة (فائز حسن عثمان.٢٠٠٣:١)، فرأينا من الواجب أن نقوم بتوثيق هذه المواقع و التعريف بها وتسجيلها في السجل الدائم للآثار بالسودان بالتعاون مع الهيئة العامة للآثار و المتاحف السودانية .

١/ العمارة الدينية :-

وتشمل الخلاوي ودور العبادة ، تمت خلال المرحلة الأولى دراسة وتوثيق وتسجيل عدد سبع خلاوي (مفردها خلوة و الخلوة في السودان هي المكان أو الغرفة المنعزلة التي يختلي فيها العابد للعبادة وتلاوة القرآن ، ارتبطت بمشائخ الطرق الصوفية ، أما الخلاوي بمعناها العام فهي مؤسسات دينية غير حكومية تقوم بتحفيظ القرآن الكريم لعدد من الطلاب مع إيوائهم و إطعامهم) . ومعظم هذه الخلاوي يعود لفترة القرن التاسع عشر الميلادي وما يزال بعضها محافظ على بنيته حتى الآن .

مثال لذلك خلوة الشيخ وداعة الله في قرية المطمر ، والتي تأسست في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وهي عبارة عن غرفة كبيرة تبلغ مساحتها ٦×٧متر مبنية من الطين اللبن (الجالوص) ويبلغ سمك جدرانه ٥٠سم (صورة رقم١)، ومسقوفة بجذوع النخيل و أغصانها و أوراقها ، ومن الواضح أن الخلوة كانت تتعرض لعمليات صيانة وتجديد منتظمة حتى حافظت على شكلها الحالي . وكانت

* مركز دراسات و أبحاث الآثار جامعة وادي النيل – السودان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخلوة مستمرة في أداء وظيفتها في تحفيظ القرآن الكريم حتى ثمانيات القرن الماضي، وتوقفت لأسباب اقتصادية ، وأشهر من درس فيها الشيخ سيف الدين محمد أحمد الشيخ الحالي للطريقة العزمية في السودان .

صورة رقم ١ خلوة الشيخ وداعة الله

في منطقة "قباتي" توجد خلوتين ، الأولي أسسها الفقيه الحسن في فترة الفونج (١٥٠٥-١٨١٢م) وتفيد روايات أهل المنطقة بأنه من المحس من أقصى شمال السودان ، و الخلوة عبارة عن غرفة كبيرة تبلغ مساحتها ٦×٧,٥ متر ، مبنية من الطين (الجالوص) الذي تتخلله بعض الألواح الحجرية ، حيث يبلغ سمك حيطانها ٥٠سم ، ولها باب من جهة الشرق ونوافذ صغيرة من جهة الجنوب ، وما تزال حيطانها قائمة حتى الآن حتى السقف ، وبعض أجزاء من السقف الذي كان من جذوع النخيل و أغصانها و أوراقها ، وبها دعامة من جذع شجرة الدوم في الوسط لحمل السقف ، وهي بصورة عامة تطابق الطراز المعماري للخلاوي في السودان في تلك الفترة .

أما الخلوة الثانية فهي خلوة السواراب ،(صورة رقم ٢) وهم من قبيلة الشايقية جاءوا إلى المنطقة لتحفيظ القرآن وتدريس الفقه الإسلامي ، حيث أسسوا هذه الخلوة و التي هي كسابقاتها عبارة عن غرفة كبيرة تبلغ أبعادها ٦×٧ متر مبنية من الطين أيضاً ويبلغ سمك جدرانها ٥٠سم ، وما تزال بحالة جيدة حيث يبلغ ارتفاعها ٤ متر ومسقوفة من جذوع النخيل . للخلوة خمسة نوافذ من الناحية الجنوبية و أخرى مثلها من الناحية الشمالية ، و المدخل في الشرق . تؤكد الروايات الشفاهية أن الخلوة تأسست أيضاً في فترة ما قبل الاحتلال التركي للسودان في ١٨٢١م .

صورة رقم ٢ خلوة السواراب

الخلوة الرابعة هي خلوة الفكي الطاهر في تبورة فهي أكبر قليلاً من سابقاتها ، حيث تتكون من غرفتين كبيرتين تبلغ أبعادهما ٥×٦ متر ومبنيتان من الطين(الجالوص) ومسحت جدرانهما من الخارج بالزبالة (وهي خليط من روث الحيوانات و الطين) وكلاهما تفتحان نحو الشرق ومسقوفتان بجذوع النخيل و أغصانها و أوراقها (الجريد) ، وقد ارتبطت هذه القرية ببعض قصص كرامات الأولياء خاصة الشيخ الفقيه "أبو ناجمة ".

في قرية سقادي شرق توجد خلوة الشيخ مصطفي الفادني ، وهي عبارة عن مجمع متكامل يتكون من خلوة ، مزار ، غرفة الشيخ ، خلوة شيخ الحيران ، بني فى أواخر فترة المهدية ، والمسجد وكل المباني مبنية بالطين (الجالوص) عدا المسجد الذي يتخلل الطين فيه ألواح حجرية ، وجميعها كسابقاتها مسقوفة من جذوع النخيل و أغصانها و أوراقها . تبلغ أطوال المسجد ٨×١٢ متر ويبلغ سمك حيطانه ٦٠سم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وسقفه من البروش (حصيرة من سعف النخيل) وجذوع النخيل و أغصانها ، وما يزال المبنى محافظاً بسبب أعمال الصيانة الدورية .

أما الخلوتان الأخيرتان من السبع المشار إليهما أعلاه ، فهما فهما خلوة الفكي محمد ود مصطفى عبد الله ود سليمان بسقادي شرق ، وخلوة الفقيه محمد حامد الرباطابي ، وكلاهما لم يتبقى منهما سوي بقايا سور يرتفع لحوالي ٣٠ سم عن سطح الأرض مبني من الطين (الجالوص) ، وهما عكس الأخريات حيث يعكسان عدم الإهتمام و المحافظة و الترميم و الحفظ .

٢/ العمارة المدنية : المنازل و القرى :-

من بين أشهر المعالم التاريخية في المنطقة ما يعرف بمنزل بت أسد (صورة رقم ٣)، وهي إمرأة عاشت في فترة الفونج (١٥٠٤م-١٨٢١م) وهي حفيدة الشيخ الفقيه حامد أبو عصا ، كما أنها جدة أبناء منصور من المجاذيب أشهر الأسر الدينية في المنطقة ، ومنزلها أو ما تبقى منه غرفة تبلغ ٥×٦ متر مبنية من الطين (الجالوص) مع بعض الألواح الحجرية ، ويبلغ سمك جدرانه ١متر ، و المبنى ما زال مكتمل ومحافظ على هيئته القديمة ، حيث سقف بجذوع وأغصان و أوراق النخيل ، وله ثلاثة دعامات من جذوع الدوم في الوسط لحمل السقف ، ومن الواضح أن الأصل في وسط الغرفة ، بينما الآخران أضيفا لاحقاً للمحافظة على السقف .

صورة رقم ٣ منزل بنت أسد

في منطقة الضيقة وأسفل الجبل مباشرة على الهضبة الصخرية وبمحاذاة وادي الضيقة من أعلى طريق التحدي ونزولاً حتى المنطقة الزراعية ، تنتشر مجموعة من المنازل في شكل غرف مربعة الشكل و أخري دائرية جميعها مبنية من الحجارة و الألواح الحجرية ، (صورة رقم ٤) ويفوق عددها الستين منزلاً ونسبة لوقوعها بعيداً عن القرية الحالية و منطقة صخرية ما تزال هذه المنازل محافظة وبعضها ما تزال حيطانه قائمة حتى ارتفاع ٣ أمتار ، وتتراوح مساحات الغرف المربعة بين ٤×٥ متر و ٦×٥ متر ، بينما الغرف الدائرية فيبلغ متوسط قطرها ٥ أمتار ، من الملاحظ أن بعض الغرف يوجد في وسطها دعامة لحمل السقف ، كما احتوت جدران بعضها على بقايا طلاء من الداخل أبيض اللون .

إن تاريخ هذه المنازل غير مؤكد ، لكن أحد المعمرين في القرية يدعى أحمد محمد بشير سليمان أحمد محمد سعد ، ذكر أن جده السادس سعد كان من سكان هذه القرية .

صورة رقم ٤ منازل الضيقة

في حوالي النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي ، لكن ربما تكون قد سكنت أو بنيت في فترات سابقة لدخول الإسلام .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بالقرب من المطمر و إلى الجنوب منها توجد قرية أخرى مشابهة للسابقة الذكر عند الشطيب ، ويبلغ عددها أكثر من٢٦ غرفة جميعها مبنية من الألواح الحجرية ، أحدها أستخدم في بنائه مكعبات من الحجر الرملي المنتظم القطع ، والذي يبدو أنه أعيد استخدامه ونقله من مبنى آخر ، هناك نوعين من المنازل كبيرة وصغيرة، وتختلف في أشكالها بين المربع و المستطيل و الدائري ، وتبلغ متوسط الأبعاد ٧×١٢ متر ، و ٥×٤ متر . هناك نوعين من المنازل كبيرة وصغيرة ، وتشمل المنازل الكبيرة على غرفتين فأكثر ، بينما المنازل الصغيرة تحتوي على غرفة واحدة. وجميع أبواب الغرف تفتح شرقاً باتجاه الجبل ، وتنتشر في سطح الموقع كسر الفخار الخشن الذي يمكن أن يؤرخ لفترة الفونج الإسلامية (١٥٠٤م-١٨٢١م).

العمارة الجنائزية :-

٣/ العمارة الجنائزية :القباب و الأضرحة و المقابر :-

من بين أهم القباب في منطقة قباتي ، قبة الشيخ عمر النشيو (صورة رقم ٥) الذي عاش خلال فترة التركية ، وهي عبارة عن غرفة دائرية يبلغ قطرها حوالي ٦ أمتار مبنية من الطين (الجالوص) الذي تتخلله بعض الألواح الحجرية ، نهايتها قبة مبنية من الطوب الأحمر الذي أعيد استخدامه من مبني سابق أقدم من القبة ، وبداخلها قبر الشيخ عمر النشيو المنتمي إلي الفادنية ، والذي تحكى عنه كرامات خاصة عند وفاته .

صورة رقم ٥ قبة الشيخ عمر النشيو

مقبرة الشيخ حسين الجالس في سقادي شرق يعود تاريخها للفترة التركية (١٨٢١-١٨٨٥م) ، حيث كان يدفن فيها الأطفال ثم رويداً رويداً بدأ يدفن فيها الكبار . كما توجد قبة الشيخ أبو سبيب (صورة رقم ٦) وضريح الشيخ عمر بن بلال البادرابي والد الشيخ حامد أبو عصا ، في جبانة إسلامية قديمة إلى الشمال من القرية تحتوي على عشرات القبور.

صورة رقم ٦ قبة الشيخ أبو سبيب

خاتمة :-

من خلال ما سبق ذكره يتضح وجود تطابق العناصر المعمارية في هذه المباني جميعاً ، حيث بنيت جميعها من الطين اللبن (الجالوص) ، وكذلك سقفت بجذوع و أغصان و أوراق شجر النخيل ، كما أنها تتشابه في التخطيط العام والأبعاد ، مما يشير إلى حقيقة أن هذه المباني جميعها متزامنة أو على الأقل متقاربة زمانياً ، كما تؤكد أيضاً صحة التواريخ التي أدلت بها الروايات الشفاهية للسكان المعمرين في المنطقة .

إن عدم تسجيل ودراسة ووصف هذه المواقع من قبل الرحالة الذين مروا بالمنطقة ، وكذلك البعثات الأثرية التي عملت فيها وبالقرب منها ، يعكس حقيقة أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هؤلاء الباحثين لا يلمون الإلمام الكامل بالفترة التي تلت دخول الإسلام إلى السودان و آثارها ، مما يجعلنا نشير إلى ضرورة تركيز الجامعات السودانية وبعثات الآثار على دراسة هذه الفترة وتدريب كوادر وطنية لهذه المهمة .

المراجع :-

١/ فائز حسن عثمان .٢٠٠٣. أصول و امتدادات حضارة نبتة.رسالة ماجستير غير منشورة ز جامعة وادي النيل .

/٢

Osman,F.H. 2005.

" The Deficiency of Archaeological Methodology in Under-

Standing the Sudanese Civilization: Napata as a case study"

The Nile Scientific Journal.Vol.1 pp. 3-14

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شكل (١)

لوحه رقم (١)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لوحه رقم (٢)

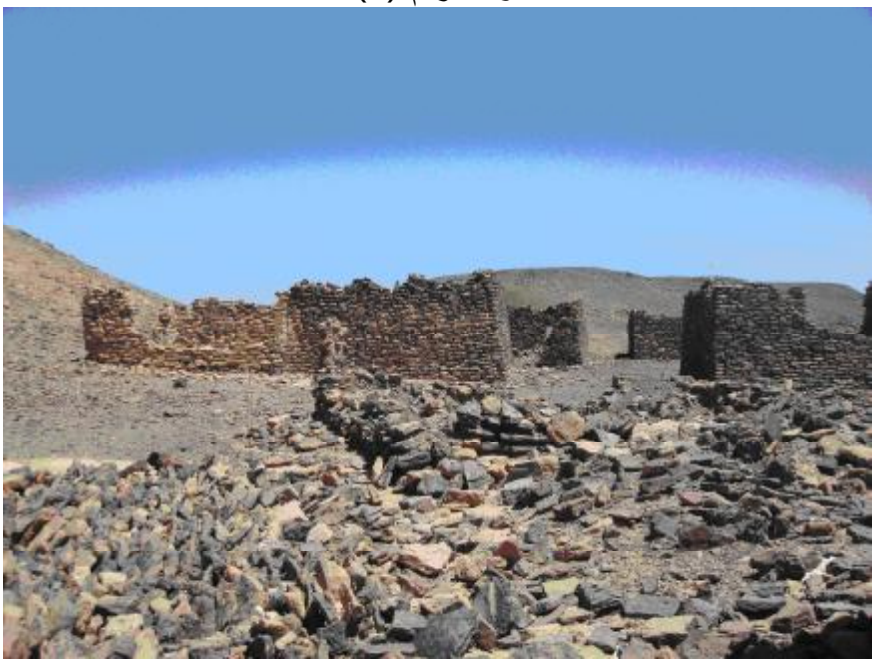

لوحه (رقم ٤)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لوحه رقم (٥)

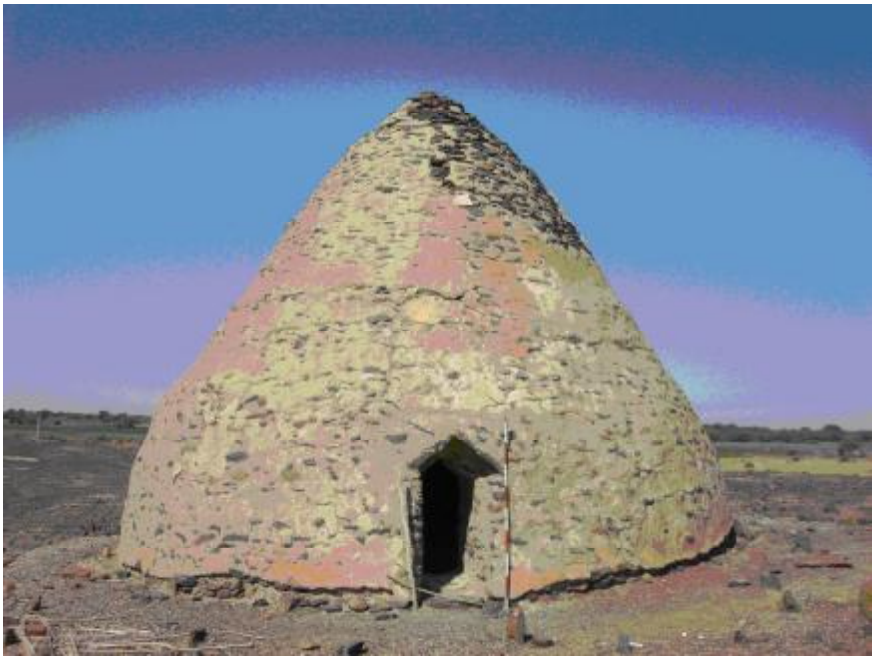

لوحه رقم(٦)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com